



Identity Fragmentation in the Postmodern Arab-American Poetry the Collection of Flawed Landscape by Sharif



S. Elmusa -an example-

Received: 16/01/2024; Accepted: 18/03/2024

*1 ريان كشو،² ليلي تحري

1 جامعة الشاذلي بن جديد الطارف، (الجزائر)، قسم اللغة والأدب العربي، مخبر التراث والدراسات اللسانية، r.kachaou@univ-eltarf.dz
2 جامعة الشاذلي بن جديد الطارف (الجزائر)، قسم اللغة والأدب العربي، tahrileila82@gmail.com

تشظي الهوية في الشعر العربي-الأمريكي ما بعد الحداثي ديوان منظر طبيعي معيوب لشريف الموسى -أنموذج-

الكلمات المفتاحية:

ما بعد الحداثي؛
الشعر العربي
الأمريكي؛
الطبيعي؛
الهوية؛
التشظي.

ملخص

استطاع الشعر العربي الأمريكي أن يصور جلجا ملامح سيولة الهوية إبان ما بعد الحداثة، هذه الهوية التي كانت في فترات سابقة إحدى ركائز كينونة الإنسان وفاعليته، والتي صارت تتميز بالتشظي والانقطاع، ومن الأدباء الذين استطاعوا التعبير عن هذا التفكك هو الشاعر الفلسطيني الأمريكي شريف الموسى، الذي استطاع من خلال تجربته الخاصة أن يصور الشرخ الذي عانى منه الإنسان ما بعد حداثي عامة، والفرد العربي خاصة، وذلك لما عانتها الشعوب العربية من وبيلات الاستعمار وما شهدته من دمار، وذلك من خلال ديوانه الشعري منظر طبيعي معيوب، والذي استطاع أن يبين من خلاله المفارقات التي يعيشها الإنسان العربي، والضياح الذي يكتنفه بين الحضارتين الشرقية والغربية، ولهذا يروم هذا المقال إلى استكشاف ذلك التشظي الهوياتي، واستشفاف ملامح الهوية ما بعد الحداثية.

Abstract

Arab-American poetry was able to depict the features of the identity fluidity during post-modernism clearly. This identity, which in previous times was one of the pillars of the human existence, has become fragmented and divided. One of the writers who were able to express this disintegration is the Palestinian-American poet Sharif S. Elmusa, who Through his own experience, was able to portray the rift suffered by the postmodern human being in general, and the Arab individual in particular, because of the colonization and the destruction it has caused.

In his poetry collection, Flawed Landscape, Elmusa was able to show the paradoxes that the Arab individual experiences, and the constant feeling of loss between the Eastern and Western civilizations. Thus, this article aims to explore the identity dispersion, and inspect the features of post-modern identity

Keywords:

postmodern;
Arab-American poetry;
landscape;
Identity;
Fragmentation.

* Corresponding author, e-mail: r.kachaou@univ-eltarf.dz

Doi:

1 - مقدمة

تعتبر الهوية عن كينونة الإنسان وماهيته، وثبت وجوده وحضوره الفاعل في هذا العالم، لكن مجتمع ما بعد الحداثة والتطورات المتسارعة التي يمر بها قلبت الموازين، وخلخت نظام تلك الهوية التي كانت في يوم ما وحدة متكاملة، وقالت بانشطارها وتنشيطها، وما كان على الأدب إلا أن يصور ذلك التحول، حيث ظهرت نصوص أدبية أحاطت بجوهر هذه التحولات وعبرت عنها، وكان الشعر العربي-الأمريكي خير مصور لسيولة الهوية التي اعترت الشعراء العرب في أمريكا، وتبقى الإشكالية الأساسية هي:

كيف استطاع هذا الشعر الإحاطة بتنشيط الهوية، وكيف عبر عن الهجنة الثقافية بين الشرق والغرب؟ هذه الثنائية التي أسالت كثيرا من الحبر خاصة مع الدراسات ما بعد الكولونيالية والاهتمام بالثقافات الهامشية، وللإجابة عن ذلك تم اختيار ديوان **منظر طبيعي معيوب (Flawed Landscape)** للشاعر الفلسطيني-الأمريكي شريف الموسى وذلك لاستشفاف مواطن التنشيط، واستكشاف حالة الضياع التي اعترت الإنسان العربي في بلدان الغرب، خاصة في ظل المناخ السياسي المتوتر، وستكون الدراسة وفق مقاربة ثقافية من خلال تحليل النصوص الشعرية في الديوان لتتبع مواطن حضور كل من الهوية العربية والهوية الغربية، تداخلهما، وحتى تنافرها.

2- الهوية ما بعد الحداثيّة:

قامت ما بعد الحداثة على الاختلاف والتنشيط والتفكك، والشك في اليقينيّات، ورفض التصنيفات الصارمة التي فرضتها الحداثة، ولم يقتصر هذا الرفض على الجانب السياسي فحسب، بل مس كل مجالات الحياة، وذلك لكون ما بعد الحداثة تسعى إلى خلخلة المجتمع وإعادة تشكيله وفق نظرة جديدة بعيدة عن الإملاءات الغربية الحداثيّة التي أدت إلى الدمار والخراب. هذا وبما أن موضوع **"الهوية"** قد حاز على قدر وافر من الاهتمام خلال فترة الحداثة، فكان من البديهي أن يتوجه صوبه رواد ما بعد الحداثة بالنقد والتفكيك، فتحوّلت الهوية من غاية يرجى الوصول إليها وترسيخها، إلى شظايا من الماضي، "فالهويات لا تكون موحدة أبداً، وفي الأزمنة الأخيرة، صارت مجزأة ومتشظية بشكل متزايد، لا تفرد أبداً بل تتضاعف عبر خطابات وممارسات ومواقف مختلفة ومتداخلة ومتناقضة في كثير من الأحيان. إنها تخضع لعملية تاريخية راديكالية، وهي دائماً في طور التغيير والتحول" (Hall & Du Guy, 1996, p4)، ويرجع هذا إلى طبيعة المجتمع ما بعد حداثي، الذي تفتن إلى حقيقة هذه الهوية وكونها مجرد خطابات غريبة تم على أساسها الفصل بين الناس، ومنح حقوق لمجموعة على حساب أخرى، وقامت الحروب الدموية دفاعاً عنها، ولعل أفضل من وضح هذا الأمر هو الكاتب اللبناني-الفرنسي (أمين معلوف) في كتابه (Les Identités Meurtrières) أو **(الهويات الفاتلة)** حيث بين أن "مفهوم الهوية القبائلي الذي مازال سائداً في العالم كله هو الذي يهيئ لمثل هذا الانحراف. إنه مفهوم موروث من صراعات الماضي التي سيرفضها كثيرون منا إن فحصونا عن كثب، ولكننا نستمر بالانتماء إليها بفعل العادة وقلة المخيلة أو بالانقياد، فنساهم هكذا لا إرادياً بالمآسي التي ستثير غدا اضطرابنا بشكل حقيقي" (معلوف، 1999، ص30)، كما استفاد في الحديث عن الصراعات التي كان الدافع الأول لها هو الهوية والرغبة الملحة في الانتماء لجماعة ما، هذا الانتماء الذي يحول إنساناً عادياً إلى قاتل عنيف تحت مسمى الدفاع عن الهوية، كما يتفق (معلوف) مع غيره من الباحثين لما بعد حداثيين حول تحولات الهوية، يقول: "لا تعطى الهوية مرة وإلى الأبد، فهي تتشكل وتتحوّل على طول الوجود" (معلوف، 1999، ص25)، ما يؤكد على أنه خلافاً لما ساد في القرون السابقة، لا يمكن إعطاء تحديد واضح لماهية هذه الهوية أو مكوناتها في ظل التغيرات التي يشهدها العصر الحالي. أما الفيلسوف البولندي (Zygmunt Bauman 1925-2017) (زيجمنت باومن) فقد ناقش هذه المسألة بإسهاب، وبين الاختلاف ما بين الهوية الحداثيّة والهوية ما بعد الحداثيّة "إذا كانت مشكلة الهوية الحداثيّة هي كيفية بناء هوية والحفاظ على متانتها واستقرارها، فإن إشكالية الهوية ما بعد الحداثيّة -في المقام الأول- هي كيفية تجنب التثبيت وإبقاء الخيارات متعددة" (Bauman, n.d. p18)، ما يعني أن هوية ما بعد الحداثة متغيرة تأبى الاستقرار، فهي **هوية سائلة (Liquid Identity)** -حسبه- وقد أعزى هذا الأمر إلى طبيعة حياة ما بعد الحداثة التي تفرض الحركية والتطور وترفض السكون والثبات، لأن قواعد اللعبة تتغير باستمرار، لذلك فإن أفضل استراتيجية هي إبقاء اللعبة قصيرة، ما يعني الحذر من الالتزامات طويلة المدى، و تفادي الولاء لأي شيء وأي شخص (Bauman, n.d. p21)، ويأتي هذا على النقيض تماماً مما دعت إليه الحداثة من ترسيخ لقواعد المجتمع، وتقنين كل ما يتعلق بالفرد وحياته وهويته، "فالحداثة مشيدة من الصلب والخرسانة، وما بعد الحداثة من البلاستيك القابل للتحلل" (Bauman, n.d. p18)، فهذه السيولة في تكوين المجتمع ما بعد الحداثي هي التي أسهمت في تشكل نظرة مغايرة عن الهوية التي كانت يوماً ما متينة.

ويرجع هذا الاضطراب الهوياتي بالدرجة الأولى إلى الهيمنة الغربية على العالم، فلم تكتف هذه القوى العظمى بالسيطرة العسكرية والسياسية ونهب الثروات، وتفتيل الشعوب، بل راحت تمجد ثقافتها كأنموذج يجب الاقتداء به، في تهميش صريح لكل مكونات هوية المجتمعات الأخرى الهامشية، "وتؤدي عملية التطبيع القسري هذه دائماً إلى ولادة هوية متشظية أو متشظية. والثقافة التي تنشأ تحت تأثير عملية التطبيع هذه كما يقول بواريه J.Poirier هي ثقافة متناقضة

أو مشوهة تنطلق من معيارين متناقضين هما: الثقافة الأهلية التي تمثل تراث الآباء والأجداد، ثم الثقافة الدخيلة التي تمثل المعاصرة" (ميكشيللي، 1993، ص 154-155)، ما يعني أن الشرخ بين هوية الفرد الأصلية وهوية المركز الغربي هو أبلغ تعبير عما يمر به الإنسان المعاصر من تشتت وضياع وفقدان للذات. هذا وقد أسهمت الهجرة على نحو كبير في زيادة نسبة التشظي التي يشعر بها الإنسان المعاصر، "أليس من خصوصية عصرنا أنه جعل من كل الرجال بشكل ما مهاجرين وأقليات؟ فجميعنا مجبرون على العيش في عالم لا يشبه أبدا أرضنا الأصلية، علينا جميعا أن نتعلم لغات أخرى ومخاطبات أخرى وشيفرات أخرى، وجميعنا لدينا الانطباع بأن هويتنا، كما تخيلناها منذ الطفولة، مهددة" (معلوف، 1999، ص 37)، ولعل أكبر دافع للهجرة هو السياسات الاستعمارية التي حولت سكان المستعمرات إلى مجرد لاجئين في دول العالم الغربي، فلا هي تقبلتهم كمواطنين حقيقيين، ولا بإمكانهم العودة إلى أراضيهم التي صاروا غرباء عنها، هذا المنتصف أو (The Grey Zone) هي بؤرة الشرخ الهوياتي لإنسان ما بعد الحداثة.

3- الشعر العربي-الأمريكي:

أدى العصر الحديث بمصائبه وحروبه إلى هجرة أعداد هائلة من الناس نحو البلدان المتطورة محملين بثقافتهم وأفكارهم بحثا عن الأمان، الأمر الذي أدى إلى إثراء الثقافة الغربية، حيث إن المتمعن فيها يجد أنها مثقلة بحمولات فكرية متعددة المشارب و "جزء كبير منها نتاج المنفيين والمهاجرين واللاجئين والفكر الأكاديمي، والنظري والجمالي في الولايات المتحدة لم يصل إلى ما هو عليه اليوم إلا بفضل أولئك الذين لجأوا إليها هربا من الفاشية والشيوعية، وسوى ذلك من الأنظمة المجبولة على قمع الخارجين عليها وطردهم" (سعيد، 2004، ص ص 117-118)، هذا وقد نال المواطن العربي الحظ الأوفر من النكبات والمصائب، لأن أرضه كانت ولا تزال مستهدفة من قبل الدول الاستعمارية التي رأت فيها أرض الميعاد والأمجاد، فاحتلتها ونهبت خيراتها وشردت أهاليها، وما كان على طبقة المثقفين والأدباء إلا التعبير عن حالة التشنت هذه.

هذا ويعتبر الأدب العربي-الأمريكي من أهم الآداب التي استطاعت تصوير الحالة المأساوية التي وصل إليها الإنسان العربي الضائع بين الحدود والقوميات، وتعود بدايات هذا الأدب إلى أوائل القرن العشرين، وهو مستمر في الازدهار إلى يومنا هذا، كما يدل النشاط المحيط به على أنه يشهد نهضة (Abinader, 2000, p11)، ويعود هذا إلى تفتن النقاد والدارسين إلى ما يحمله هذا الأدب من تعبير صادق عما مر به، كما أنه شكل من أشكال المقاومة وفرض الذات، فهو "يحدد مساحات الهوية العرقية العربية-الأمريكية، كما يضع الصور النمطية المعادية للعرب ضمن أسسه الخطابية" (Radwan, 2016, p19)، وهو بهذا يؤكد الوجود العربي، كما يفضح الصور النمطية التي تم تمريرها عن العرب، ويفند الخطابات المركزية التي سعت إلى تشويه الذات العربية.

وقد كان الشعر من أولى الأجناس الأدبية التي تحدثت عن الهوية العربية الأمريكية، حيث "بدأ الشعراء العرب الأمريكيون في نشر الشعر الذي يلامس -بصورة مباشرة أو غير مباشرة- الهوية العربية، ويسبر ما فقد خلال أجيال الاستحواذ" (Radwan, 2016, p3)، ما يعني تأكيد هؤلاء الشعراء على انتمائهم العربي والتعريف بثقافتهم الشرقية وما ضاع منها خلال الأزمات.

وإذا كانت سياسات القمع والتهجير تؤثر على وحدة الهوية، فإن الشعراء العرب-الأمريكيين هم خير مثال على ذلك التشظي، فالهوية هي المجال الذي تنجذب إليه معظم النقاشات، وهي الفخاخ التي يعمل معظم الشعراء العرب-الأمريكيين بلا هوادة للتحرر منها (Charara, 2008, p8)، وذلك راجع بالدرجة الأولى لهجنة هؤلاء الشعراء، وتذبذبهم بين أصولهم الشرقية وحياتهم في العالم الغربي، فهم بذلك في حالة مستمرة من الاستبعاد والإقصاء من أحد الطرفين.

4- مظهرات سيولة الهوية في ديوان (منظر طبيعي معيوب) لشريف الموسى:

يعد ديوان منظر طبيعي معيوب للشاعر الفلسطيني الأمريكي (شريف الموسى)، خير مثال عن تشظي الهوية ما بعد الحداثية، حيث يتأرجح على طول الست وثلاثين (36) قصيدة بين هويته العربية ونقيضتها الأمريكية، يحن لأرضه العربية، ويحب الأجنبية، يحقد على المحتل ثم يتمنى له السلام، كل هذا يبين ذلك الشرخ الذي يعاني منه، والذي يلزم الإنسان خلال فترة ما بعد الحداثة.

قسم الموسى ديوانه إلى ثلاثة أجزاء، واستهل كل جزء بعبارة تحيل على مضمونه، حيث ابتدأ الجزء الأول بعبارة لـ جورج باطاي (George Bataille) يقول فيها: "الحرب تستخف بنا" (Elmusa, 2008, p2)، ويظهر تشظي الهوية واضحا بداية من عنوان الديوان منظر طبيعي معيوب (Flawed Landscape) والذي جعله عنوانا لإحدى قصائده، وهذا العنوان يحيل على تساؤلات عدة، ماهي هذه الأرض؟ هل هي فلسطين أرضه الأصلية؟ أم أراضي البلدان العربية التي عاش مهاجرا بها؟ أم هي أمريكا مسكنه الآن؟ من كل هذا يمكن استشفاف حالة الهجرة التي عانى

منها الشاعر مذ كان رضيعاً، علماً أنه تهجر رفقة عائلته عام النكبة 1948 بعد عام فقط من ولادته، ما يعني أنه ذاق ويلات الترحال منذ الصغر، ويمكن استشفاف حالة التشظي التي يعاني منها بداية من كونه فلسطيني الأصل لكن يعيش على الأراضي الأمريكية التي تعد أول داعم لدولة الاحتلال الصهيوني الآن، كما أنه عربي لكنه يكتب باللغة الإنجليزية. هذا وأول قصيدة في الديوان جاءت بعنوان **what makes the man ?** أو **ما الذي يجعل الرجل؟** يتساءل فيها الشاعر ويقول:

ما الذي يجعل الرجل

الذي يتعرج

كنهر حائر

ما الذي سيحظى به على العشاء

أي فيلم سيشاهد

متى كانت آخر مرة قص بها شعره

ما الذي يجعل هذا الرجل

يغلق عينا

ويصوب عبر منظار بندقيته

ويصبح أكثر حيوان

دقيق ومباشر؟ (Elmusa, 2008, p3)

وفي هذا حيرة وتعجب من تحول الإنسان العادي إلى حيوان قاتل بلا رحمة ولا شفقة، في إشارة إلى مدى رخص الروح الإنسانية وعدم أهميتها، وخاصة أرواح سكان الهامش الذين يموتون بالملايين، وهم للعالم مجرد إحصائيات لا أكثر.

أما قصيدة **Flawed landscape** ثالث قصيدة من هذا الديوان، فتبين حجم معاناة الشعب الفلسطيني، يقول:

خسرنا الحرب وصرنا أمة من اللاجئين

دون بوصلة، توجهنا شرقاً (Elmusa, 2008, p6)

يشير هذا إلى لجوء الفلسطينيين إلى الشرق أي العرب لمساعدتهم خلال المحنة، يقول:

جلسنا في مخيم في الصحراء

دون الرمال المتعرجة الموجودة في الأفلام (Elmusa, 2008, p6)

يحيل هذا على الصور النمطية التي دائماً ما يسوقها الغرب عن الشرق في الكتب والإعلام، والبعيدة حقيقة كل البعد عما هو موجود على أرض الواقع

قرب مدينة أريحا

ذلك المنظر الطبيعي المعيوب (Elmusa, 2008, p6)

هذا يعني أن الأرض التي فرضت عليهم الحرب اللجوء إليها هي المعيوبية، وذلك لما شهد فيها وعائلته من آلام ومعاناة، يقول:

كان العالم طيباً معنا

الأمم المتحدة، عرابنا

وزعت الدقيق والأرز وجبن الشيدر

جبن أصفر -حاد أكثر من قدرة أفواهنا (Elmusa, 2008, p6)

تظهر هذه الأبيات تناقضاً كبيراً في معاملة العالم للقضية الفلسطينية، وذلك لأن جبن الشيدر أو الجبن الأصفر هو جبن انجليزي الأصل، عكس الجبن العربي الأبيض طري القوام، وانجلترا هي التي احتلت فلسطين عام 1920 بعد سقوط الإمبراطورية العثمانية إلى عام 1948، وبعد انتهاء الانتداب البريطاني، تم تسليم فلسطين للاحتلال الصهيوني، الذي قسم الأراضي الفلسطينية وهجر أهلها، يعني أن الأمم المتحدة مجرد خادم مطيع لأجندات الغرب الاستعمارية، ولا تهتم حقيقة بالقضية الفلسطينية، ولا بمعاناة شعبها.

هذا ويستعيد الشاعر على طول الديوان ما مر به في مخيمات اللاجئين من عنف وتقتيل، يقول:

كانت المخيمات مصنوعة من الطين والقش

أسقفها الخفيفة تخشى المطر (Elmusa, 2008, p8)

أي أن هذه المخيمات لا يمكن أن تقيهم حرارة الصيف ولا برد الشتاء

آه، كم لعنت آدم وحواء

ومن جعلهما لاجئين (Elmusa, 2008, p8)

في إشارة إلى أن النبي آدم عليه السلام وحواء هما أول لاجئين على هذه الأرض، ومن بعدها اضطرب بني آدم إلى العيش على سطح الأرض في معاناة بدل العيش في النعيم الأبدي، ما يبين مقدار حزن الشاعر وألمه الكبيرين على وضعيته كلاجئ.

أما في قصيدة مرثية لمقبرة جماعية في صبرا وشاتيل (An Epitaph for a Mass grave in Sabra and Shatila) فيصف ما وقع في إحدى أشنع المجازر في التاريخ، وهي المجزرة التي وقعت في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين عام 1982 على يد مجموعة من المتطرفين الصليبيين اللبنانيين بمساعدة الجيش الصهيوني، فيصف كيف تم قتلهم بالفوس والمعاذق على يد جناء في ظلام الليل بعد أن وعدوهم بالحماية (Elmusa, 2008, p9)

أمهات وآباء

إخوة وأخوات

أصدقاء وجيران

ألقت بهم الجرافات في حفرة

حتى إن الأرض ذهلت

ولم تستطع حتى أن تصرخ "كفى"

عندما تأتي

من فضلك صل وابق هادئاً

ابق هادئاً (Elmusa, 2008, p9)

يشير هذا إلى حجم الكارثة التي اقترفت في حق المدنيين العزل من آباء وأمهات وأطفال لا علاقة لهم بالحرب، تم اغتيالهم في ظلمات الليل على يد "إخوانهم في العروبة"، وهي الطامة الكبرى، فلم يبق الحقد على الأجنبي الغربي فقط، بل حتى العرب خذلت فلسطين وشعبها، الأمر الذي يزيد من تشظي هوية الشاعر، لأن العروبة لم تعد كافية لحمايته. يقول كذلك في قصيدة حتى يشعر بالذل (To Feel The Humiliation) واصفا شناعة التقتيل:

رأيت اليوم ما يكفي من الحرب

صف من الرجال، معصوبي الأعين

بأيدي مستسلمة

يجلسون القرفصاء

بظهور منحنية

مقابل جدار حجري (Elmusa, 2008, p10)

ويعني هذا أنهم في انتظار الإعدام، كما يقول في مقطع آخر:

يبقى طفل صغير في المنزل

لخمسة أيام وحيدا

مع جثث أفراد عائلته (Elmusa, 2008, p10)

وفي هذا تظهر وحشية الاحتلال، فلم يبق من العائلة سوى طفل صغير ترك حيا ليعيش مع هذه الصور الشنيعة، كل هذا يبين مدى فظاعة ما عاشه الشاعر بعد أن سرقت أرضه، وكل هذه الأمور لن تفارق ذاكرته، الأمر الذي سيؤثر على حياته حيث "يشير علماء الأعصاب إلى أن ذكريات التجارب المؤلمة يمكن أن تؤدي في حد ذاتها إلى صدمة نفسية - وإن لم تكن قاتلة- فإنها تؤثر على الأقل على التركيب الكيميائي للدماغ ويمكن أن تؤدي في النهاية إلى التدهور" (Caruth, 1996, p63)، ما يعني أن الشاعر يعيش آلامه مرة أخرى من خلال قصائده، الأمر الذي يؤثر على حياته وكأنه لم يغادر ذلك المكان.

كما لم يغفل الشاعر عن تصوير حالة عائلته وخاصة والده فقال:

تذكر والدي أشجار الزيتون الاثنتي عشرة

كل يوم لمدة عشر سنوات (Elmusa, 2008, p6)

وترمز أشجار الزيتون إلى الأراضي الفلسطينية، في دلالة على وفاء الوالد واشتياقه لها لعقد من الزمن.

ثم في يوم ما أفلت

أفلت

لم يكن أبي أوليس

وجد أرضاً جديداً وبقي بعيداً

في المزرعة يسعى وراء سعادة قاسية (Elmusa, 2008, p7)

يبين هذا أنه على عكس أوليس (اسم أوديسيوس اللاتيني) لم يستطع والده أن يقاتل محاولاً العودة إلى وطنه وأهله بل استسلم حتى يتمكن من الاستمرار في العيش، وأن أهوال الاحتلال أصعب من تلك التي واجهها أوليس.

يبين هذا الديوان الشعري أيضا التشظي في الهوية الدينية بين ديني الإسلام والمسيحية، يقول:
عند الفجر

مكبرات صوت المؤذنين
تتشابك، تتداخل

تحت

تنادينا أعلى

وأعلى للصلاة

لنبت لله

عجزنا (Elmusa, 2008, pp24-25)

يظهر هنا نشأته على الدين الإسلامي، والتضرع لله عز وجل عند الفجر من أجل النصر، كما يقول في قصيدته

"الملكان": (The Two Angels)

من الأشياء التي أخبرتني بها أمي وأنا طفل

أن لكل شخص ملكان

يقفان على كتفيه

ويزان كل أفعاله (Elmusa, 2008, p38)

يظهر هذا محاولات أمه لغرس القيم الإسلامية فيه وهو طفل صغير، وفي المقابل يلاحظ تأثره بالديانة المسيحية وما

جاء فيها:

تحت ظل الصخور السوداء

لجبل التجربة (Elmusa, 2008, p6)

وهذا الجبل اسمه جبل **قرنطل**، ويسمى جبل التجربة أو جبل الإغراء (**Temptation**) لأنه حسب الديانة المسيحية

هو المكان الذي أغرى فيه إبليس المسيح عيسى -عليه السلام-

يقول أيضا:

وفي اليوم السادس

استراح (Elmusa, 2008, p13)

واليوم السادس في الديانة المسيحية هو يوم خلق الإنسان على هذه الأرض.

ويقول في موضع آخر:

زهور القطن البنفسجية

وخزة أشواكها

نهائية، كأفعال المسيح المتمردة (Elmusa, 2008, p15)

يبين هذا تأرجحه بين الديانتين، وهذا راجع لهجرته بسبب الحرب.

يستشف كذلك من خلال كتاباته الهجنة العربية-الغربية في قوله:

كوني رجل عادة

وخجولا قليلا

لن أقود على الجهة اليسرى من السيارة

ولم أحقد على البريطانيين على ميزاتهم الغربية

على الرغم من أنهم حققوا على بلدي (Elmusa, 2008, p62)

والواضح أنه بسبب معاشرته للإنجليز تعلم السياقة مثلهم على الجهة اليمنى من السيارة، ويتعجب من كونه لم يحقق

عليهم بسبب هذه العادات الغربية، إلا أنهم حققوا على وطنه وسلموه للصهاينة.

كما تظهر هويته الغربية كذلك في قوله:

أرتدي القميص في الداخل

بعد العمل

وقت الساعة السعيدة

بينما أتلذذ بالبيرة (Elmusa, 2008, p53)

ومفهوم (**Happy Hour**) أو الساعة السعيدة هو مفهوم غربي -أمريكي النشأة- يطلق على وقت محدد يتم فيه

تخفيض ثمن الكحول وتقديم المقبلات مجانا في المطاعم والحانات.

هذا ولم تخل القصائد من حنين الشاعر إلى فلسطين وأرضها، يقول ردا على طبيب الأسنان الأمريكي الذي سأله عن

فلسطين وجوها:

هناك الجو معتدل

التربة حمراء

الرعاة على التلال

اختفوا كلهم تقريباً

يرسل الشتاء أمطاراً متواضعة

تحرك الأرض الصلبة

زهور الخشخاش الحمراء تتمايل في النسيم

تتغنى بالجمال (Elmusa, 2008, p15)

يظهر هذا حنينه إلى أرضه وطبيعتها وجمالها، وهذا من مميزات الكتاب المهاجرين "فبين المجتمع المضيف، والأصل، يعيش الأفراد النازحون إما على الذكريات أو على هويات وهمية" (Al Deek, 2016, p58)، فالشاعر يعاني من شرخ بين أرضه الأولى وبين الأرض التي يقيم بها الآن والتي أنشأ فيها عائلته الخاصة، لذلك يلجأ للذكريات حتى يغذي شوقه لأصله، يقول أيضاً:

في معظم الأصباح

أطعم طبق إفطاري

بالزعر الأزرق والأخضر

من تلال فلسطين الصخرية (Elmusa, 2008, p44)

فمن حبه لها يبدأ أيامه بقطعة منها حتى تلازمه طوال الوقت، لكنه في موقف آخر يتعجب ويقول:

بماذا فتن الرسل؟ (Elmusa, 2008, p21)

في إشارة لفلسطين أرض الرسل والأنبياء، إلا أنه بسبب خرابها تعجب من حبه واختيارهم لها.

يستشف أيضاً تذبذب موقف الشاعر فيما يخص هويته الخاصة فتارة يقول في قصيدة (مثل الرجل البدائي):

بأي لغة سيأمرني

الموت بالإذعان؟

من أين ستكون الأشباح

في القبور المجاورة؟

هل سيتمكن حاصد الأرواح

من نطق اسمي؟

لا يهم ذلك في القبر (Elmusa, 2008, p35)

فلا تهم اللغة التي يتحدث بها الإنسان، ولا بلد نشأته ولا أصله وعرقه، فكل الحروب من أجل الاستحواذ على البلدان ونشر الثقافات لا تهم لأن مصير كل الناس هو الموت.

لكن في قصيدة جذور (Roots) يلاحظ العكس تماماً، فيستهلها أولاً بمقولة لـ **Attila Zozsef** "المنزل هو المكان الذي يستطيع فيه الناس قراءة اسمك بشكل صحيح على قبرك" ثم يقول:

مع ولادتي سماني والدي

شريف سعيد حسين موسى

وهلم جرا -سلسلة من الأسماء

تتبع

كما لو كان هذا لكبحي من الشرود

في الطرق الملتوية (Elmusa, 2008, p49)

حيث أطلق عليه والداه سلسلة من الأسماء (اسم والده وجده وجد والده) لترسيخ جذوره العربية ولحمايته من الانصهار في الكيان الأجنبي الذي احتل أرضهم، ثم يسترسل موضحاً كيف أن مخاوف والديه تحققت، يقول:

العم سام

(...)

رأى أن اسمي غريب

(...)

انتزع جدي

وقلص والدي

قبل كبر سنه

إلى حرف ال S

ثم أنهى المحررون المهمة

استأصلوا ال S الرجعية

وتركوني لأحلم
 كشخص فقد فردوسه (Elmusa, 2008, p50)
 والعم سام (Uncle Sam) هو رمز الحكومة الأمريكية والروح الوطنية، بين كيف أن أمريكا استأصلت اسمه
 وبالتالي هويته التي منحها له والداه، فشرع وكأنه فقد نفسه في إشارة إلى استئصال أمريكا للهوية العربية والقضاء
 عليها، وحزنه الشديد إثر ذلك فكان كشخص فقد الجنة.
 ورغم كل هذا إلا أن الشاعر لا ينفك يدعو إلى التعايش السلمي، يقول:
 أريد من النسيم العليل
 وقوة إشجار الإجاز
 صوت الناي
 الشجي والحزين
 كتلال هذه الأرض
 أن تمنحنا جميعا
 باعة وجنودا
 أن تمنحنا حبا وافرا
 حتى نقلب هذه الصفحة المضطربة
 حتى نتمكن من النوم بعم حلو (Elmusa, 2008, p20)
 ما يعني أنه رغم كل ما مر به، لا يريد سوى تحقيق السلام على أرض فلسطين، حتى لجنود المحتل.
 يدل كل هذا على حقيقة تشظي هوية الشاعر على مستويات عدة - لغوية، دينية، وطنية- الأمر الذي يعد نتيجة حتمية لما
 عاشه من حروب وتهجير، ما أنتج نوعا من السيولة في هويته، جعلته ينتمي إلى أماكن عدة ولا ينتمي إليها في الآن
 ذاته.

5- خاتمة:

بعد قراءة ديوان **منظر طبيعي** لمعروف **الموسى** يمكن استخلاص ما يلي:
 مست ما بعد الحداثة كل الأسس الرصينة التي قام عليها المجتمع الحداثي، حتى صارت الهوية قضية معقدة بعد أن
 كانت من المسلمات.
 نال المثقفون العرب المهاجرون الحظ الأوفر من الشتات الهوياتي، وذلك لتحملهم مسؤولية التعبير عن أوضاعهم
 من جهة، ومحاولات اندماجهم في المجتمعات الغربية من جهة أخرى.
 يحظى الشعر العربي-الأمريكي بعناية النقاد والدارسين وذلك لقدرته البالغة على تجسيد الهوية السائلة لهذا العصر.
 جاءت النصوص الشعرية في هذا الديوان لتعبر عن ضياع الشاعر بين هويتين متنافرتين إلى حد بعيد؛ هويته
 العربية التي شكلت طفولته، وهويته الأمريكية التي كونها هو حتى يستطيع التعايش في المجتمع الغربي.
 تجمع هذه النصوص الشعرية بين المتناقضات؛ بين تذكر حال فلسطين في الماضي والأمل في غد أفضل من جهة،
 والحد على المحتل وحب السلام للجميع، وبين أصالة الشرق وتحضر الغرب، وهي بذلك تجسد صورة مثلى عن حالة
 ما بعد الحداثة.

6- المراجع

- 1- Stuart Hall, Paul Du Gay (1996), Questions of Cultural Identity, Sage publications, UK, 1st ed, P4
- 2- أمين معلوف (1999)، الهويات القاتلة قراءات في الانتماء والعولمة، ترجمة: نبيل محسن، ورد للطباعة، سوريا، ط1، ص.ص 25-37
- 3- Zygmunt Bauman: From Pilgrim To Tourist- or a short history of identity, PP 18-21 Available online: https://pages.mtu.edu/~jdslack/readings/CSReadings/Bauman_From_Pilgrim_to_Tourist.pdf
- 4- أليكس ميكشيللي (1993)، الهوية، ترجمة: علي وطفة، دار الوسيم، سوريا، ط1، ص.ص 154-155

- 5- إدوارد سعيد (2004)، تأملات حول المنفى ومقالات أخرى 1، ترجمة: ثائر ديب، دار الآداب، لبنان، ط1، ص.ص 117-118
- 6- Elmaz Abinader (2000), Childeren of Al-Mahjar: Arab American literature spans a century, US Society & Values, Volume 5, USA, p11
- 7- Omar Bez Radwan (2016), Ambiguous State of Being: Identity construction in Contemporary Arab American (post 9/11) poetry, Thesis submitted for the award of PhD of Applied language and Intercultural studies, under the supervision of Jean-philippe Imbert and Samira Aghacy, Dublin City university, Poland, p19
- 8- Hayan Charara (2008), Inclined to speak, An Anthology of contemporary Arab American poetry, Arkansas press, USA, 1st ed, p8
- 9- Sharif S. Elmusa (2008), Flawed Landscape (poems 1987-2008), Interlink Books, USA, 1st ed, pp 2-62
- 10- Cathy Caruth (1996), Unclaimed Experience (trauma, narrative and history), The Johns Hopkins University Press, USA, 1st ed, p63
- 11- Akram Al Deek (2016), Writing Displacement, Home and Identity in contemporary post-colonial English Fiction, Polograne Macmillan, UK, 1st ed, p58